"حدود الترجمة الإبداعيَّة بين الأدب وعلوم الأدب: سعد البازعي أنموذجًا"

إعداد

د/ منى بشير الجراح

أستاذ الأدب والنقد المساعد بقسم اللغة العربية

بكلية العلوم والآداب بسراة عبيدة

جامعة الملك خالد

"حدود الترجمة الإبداعيَّة بين الأدب وعلوم الأدب: سعد البازعي أنموذجًا"

منى بشير محمَّد الجرَّاح
قسم الأدب والنقد الحديث ومنسّقة الجودة والتطوير لقسم اللغة العربية
كلية العلوم والآداب بسراة عبيدة / جامعة الملك خالد
البريد الإلكتروني: maljarrah@kku.edu.sa

الملخَّص :

تتبوّأ الترجمة ثنائيّة الاتّجاه من الإنجليزيَّة إلى العربيَّة، ومن العربيّة إلى الإنجليزيَّة موقعًا حضاريًّا مهمًّا في تسريع عجلة التنمية بجميع مستوياتها الثقافيَّة، وتسهم في إبراز الجانب الإنساني المهمّش للشعوب في كثيرٍ من الأحيان من خلال حركات الترجمة النشطة التي تنظّمها المؤسسات، أو تلك التي يتّخذها بعض الأفراد على عاتقهم من حس عالٍ بالمسؤوليَّة لإثراء المشهد الثقافي في الوطن العربي.

وفي هذا البحث سأسلط الضوء على حدود الترجمة الإبداعيّة بين الأدب، وعلوم الأدب، مستعينة بآراء سعد البازعي حول حركة الترجمة، ومناقشة أبعادها على المستويين:(الأدبي/ والنقدي) ضمن الحراك الثقافيّ العام ككل في حقول الحداثة وما بعدها، وفي إطار إشكاليَّة تعدّد مظاهر الترجمة التي تتضمَّن إحداها الممارسة الخطابيَّة المباشرة، في حين تقوم الأخرى على التنحية في التقييم بين قطبَيْ حركة الترجمة بين المترجِم، والمترجَم له في ضوء ضعف الحصانة الثقافيَّة للمترجِمين بحكم انتمائهم العرقي.

لذا؛ فإن حركة الترجمة بحاجة إلى ضبط ضمن مشروع مؤسسي يكشف الهيمنة المتوارية تحت سطحها وينهض بالدوْر الحقيقي لها في المثاقفة، والتنوير.

الكلمات المفتاحيَّة: الترجمة، علوم الأدب، الخطاب، الآخر، الأيديولوجيا، الهيمنة، المثاقفة، سعد البازعي.

Ranges of Creative Translation between Literature and Literary Sciences: Saa'd Al-Bazia'i As an Example.

mona basheer al-jarrah

Department of Literature and Modern Criticism and Quality and Development Coordinator for the Department of Arabic Language, Faculty of Science and Arts, Sarat Abidah / King Khalid University

Email: maljarrah@kku.edu.sa

Abstract

The binary translation between Arabic and English played a very interesting role in accelerating the cultural development in all cultural levels. It contributed to highlighting the human side of the marginalized people, through the active translation movements, which have organized by many institutions, or by individuals who feel responsible for enrichment of the cultural scene in the Arab World.

This paper attempts to focus on the ranges of creative translation between literature and literary sciences, making use of the views of Saa'd Al-Bazia'i over the translation movement. The paper discusses also both the literary and critical sides of translation in regard of the cultural developments in the fields of modernism and post modernism, and in the light of the multiplicity of the forms of translation, such as the direct oratorical form.

One of the problematic issues in this regard, which should be discussed, is the possibility of separation between the translated text and the translator, who might be unprotected against racial intolerance.

The researcher recommends putting a scientific standard to control the translation movement, through an institutional project, and to undertake its role in acculturation and enlightenment.

Key words: Translation, Literature Sciences, Discourse, The Other, Ideology, Takeover, Acculturation, Saad Al-Bazai.

المقدمة

إنَّ الهدف من تقصّي حدود الترجمة الإبداعيَّة هو تحديد المظهر الدينامي لها بوصْفها ممارسة خطابيَّة في المقام الأوَّل، وتتعدَّد مظاهرها بتعدّد صنوفها في شتّى مجالات الأدب، والمعرفة، فمنها ما يتضمَّن الممارسات المباشرة (المحايدة)، وأخرى تقوم على التغريب والتهميش ما يجعلها أقرب إلى الخطابات الأيديولوجيَّة الموجَّهة للمتلقّين.

وتنبع إشكاليَّة البحث من مساءلة النصوص المترجمة هل تتساوى قيمتها الأدبيَّة، والمعرفيّة على حدّ سواء بنصوص ما قبل الترجمة في مستوى التأثير، والانتشار؟ وما المحدّدات الثقافيّة التي تتحكم في ذلك؟ وما المقياس العلمي (المعياري) الذي يمكن أن نحتكم إليه في الحكم على النصوص المترجمة والذي يبعد بها عن مزالق قصديَّة المترجم لغايات أيديولوجيَّة، وما هي أيضًا حدود الترجمة الإبداعيَّة للنصوص بين:

(الأدبي/ الجمالي)، و(النقدي/ المعرفي) في ضوء مستجدّات الحداثة، وما بعدها.

ولمناقشة الإشكالات السابقة استعانت الباحثة بآليات منهج تحليل الخطاب الذي أهم ما فيه مقتضيات الإقناع والتأثير من المرسل (الكاتب)، ومقتضيات الفهم الدقيق من المستقبل (المتلقي)؛ ولأنَّه الأقرب في حدوده الإجرائيَّة للمنهج العلمي في استقراء حدود الترجمات بين الأدب، وعلوم الأدب: (الجمالي/ والفكري) اللذيْن لا يمكن وضعهما في حدود صورة اشتماليَّة واحدة دونما محدّدات واضحة لحركة كليهما فالدّلالات النوعيَّة متشعّبة في هذا الإطار، بين النمط اللغوي السائد، والنوعي للخطاب.

ومن الدراسات ذات الصلة بموضوع البحث، الدراسة التي نشرتها مجلة اللسانيات، بعنوان: (علم الترجمة بين الأدب وللسانيات)، تأليف: جيلمات، فورنيي، بيار، ماري، وترجمة، مريبعي، سهيلة: المصدر اللسانيات، العدد، المجلد ٢٠١٧، العدد ٢٤ (٣١ ديسمبر/كانون الأول

٢٠١٧)، ص ص. ٨٠-١٠٤، ص٢٥ .الناشر مركز البحث العلمي و التقني لتطوير اللغة العربية، تاريخ النشر،31-12-2017، دولة النشر، الجزائر.

وقد رسمت هذه الدراسة الحدود الفاصلة بين الأدب واللسانيات، والتقاطعات التي تشكلها عملية الترجمة بينهما.

أمَّا عن محاور البحث فقد جاءت في ثلاثة محاور رئيسة: سأناقش فيها حدود الترجمة الإبداعيَّة بين الأدبيّ، والنقديّ، ودور سعد البازعي التنمويّ بالكشف عن ثغرات الخطاب الاستعماري ضمن التوجّهات النقديَّة لأفكار الحداثة، وما بعدها، وأخيرًا مساهمات البازعي في إبراز الدور الحضاري لتلاقح الثقافات وقَبول الآخر. يتبع ذلك خاتمة تتضمن أبرز النتائج، ثم قائمة بهوامش البحث، وأخرى بأسماء المراجع.

المحور الأوّل: حدود الترجمة الإبداعيَّة بين الأدبيّ، والنقديّ

في إطارٍ من الجهود الفرديّة برز العديد من المفكّرين السعوديين الذين سلّطوا الأضواء على الثقافة الغربيّة، وحاولوا تصحيح العديد من المفاهيم الفكريّة الخاطئة من خلال نقوداتهم المترجمة على المستويين:

(الثقافي/ النقدي)، (والأدبي/ الإبداعي) أمثال: سعد البازعي، الذي أخذ على عاتقه دورًا حضاريًّا مهمًّا في تكوين وعي الفرد المثقف، وغير المثقّف، بعلميَّة الأديب العالم، ومهنيَّة المفكّر المثقّف التي كانت ضمن توجّهات فرديّة خالصة لا في إطار مؤسساتي موجِه ومنظّم لحركة الترجمة.

ومن جهوده في الترجمة؛ نكر مقالاته في عدد من الصحف والمجلات المحلية والعربية، وعدد من الأبحاث باللغة الإنجليزية التي نشرت في مجلات عالمية مثل "الأدب العالمي المعاصر" التي تصدرها جامعة أوكلاهوما الأمريكية(WORLD LITERATURE TODAY) ، وكذلك في مطبوعات صدرت في ألمانيا والسويد وبولندا، وقد دعي ليحاضر في دول عديدة مثل اليابان وألمانيا وفرنسا وبريطانيا وروسيا الاتحادية والجزائر والكويت والإمارات العربية المتحدة والبحرين وعمان ولبنان، ونشرت مراجعة لكتابه" المكون اليهودي في الحضارة الغربية THE JEWISH COMPONENT IN WESTERN CIVILIZATION " في مجلة

"السياسة الخارجية" الأمريكية في ديسمبر ٢٠٠٨، كما حرر وشارك في ترجمة قصائد من الشعر السعودي إلى الإنجليزية، وصدر له كتابان مترجمان.

ولقد ظلّ نشاط الترجمة على مدى قرون رغم الاعتراف بأهميّته يُعامل "معاملة دونيّة كنشاط ثانوي، أو تابع لأنشطة ثقافيَّة أكثر أهميّة منه"(١). واقترن وصف المترجم: بالتبعيَّة، والتكرار، والنقل أو كما في المثل الإيطالي:" خائنًا"(٢).

لكن ما لبثت هذه النظرة حتى أخذت بالتغيّر في السبعينات من القرن الماضي، واختلفت معها الفروض العلميَّة التي تتحكَّم في إنتاج الترجمات فالترجمة في حدودها النهائيَّة الخالصة عملٌ إبداعيّ تتلاشى فيه الأعراف الداخليَّة الصّرْف للّغة وتُحيلها إلى لغة تحكمها أعراف خارجيّة (ثقافيَّة) ينتفي معها أن تكون الترجمة مجرّد نقل. وفيما يأتي تعريف لهذا النوع من الترجمة:

تعريف الترجمة الإبداعية (Creative translation) :

هي – على حدّ تعبير البازعي– يستحيل أن تكون مجرد نقل أو يكون معها المترجم أداةً لذلك بل هي التي:" تسهم في إيجاد حالة من العلاقة القويَّة بين المترجم والنص، ما يجعل العمليَّة أكثر عمقًا للدرجة التي تحميها من أن تكون مجرّد نقل بلا روح"(٣). وعن مسألة خيانة النص أكَّد البازعي أنَّ

(١) ميجان الرويلي؛ وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبيّ، المغرب، الدار البيضاء، ط٤، ٢٠٠٥م، ص ١٦١، وقد كتب الناقد والشاعر الإنجليزي درايدن في إهداء ترجمته لملحمة الشاعر الروماني فيرجل واصفًا عمله، وعمل المترجمين: " نظلّ عبيدًا يعملون في حقل إنسانٍ آخر، نزرع العنب ولكن النبيذ لصاحب الأرض". المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٢)المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٣) شريف بقنه.(٢٠١٨). من ندوة: "تجارب في الترجمة"، تمَّ الاسترجاع من: http://www.drbugnah.net/2019/06/translation.html

مدونة الشاعر والمترجم السعودي د. شريف بقنه، والندوة بمناسبة اليوم العالمي للترجمة؛ قدَّمها الملتقى الثقافي بالرياض بتاريخ ٢٠١٨/١٠/١٠ ضمن فعاليات البرنامج الثقافي لجمعية الثقافة والفنون بالرياض. أدارها و شارك فيها أ. د. سعد البازعي، وبمشاركة أ. تركية العمري و د. شريف بقنه.

الترجمة لو كانت كذلك فإنها: " خيانة مقبولة ومبدعة" [١]. مؤكّدًا على وجود خيانات سيّئة في هذا الإطار.

ولذلك، فإن الترجمة الإبداعية تحضر حينما نكون أمام نصوص تتجاوز القيمة الإخبارية أو الإبلاغية إلى احتوائها على عناصر فنية وجمالية؛ نحو القصائد الشعرية، والروايات، والأغاني والخطابات الإشهارية الغنية بالقيم السيميائية. وعلى المترجم حينها أن يتحلى بمهارات أدبية عالية من الفهم والقدرة لينقُل إلى اللغة المستهدفة كل أشكال البنية والإيقاع والمحسنات اللفظية، ... وغيرها من أشكال اللعب باللغة -بتعبير فيتغنشتاين-.

وتقف الترجمة الإبداعية على ضفة مقابلة للترجمة العلمية؛ حيث ينتقل المترجم بحرية في أرجاء النص المترجم، وليس عليه أن يتقيد به، على النحو الذي ورد به.

لذا؛ يدعو بنيامين إلى ما يسمَّى: بحرفيَّة الترجمة التي تنمّ عن معرفة واقتدار :" يحولان دون تطابق النَّصَّيْن ودون انفصالهما، وإنَّما إلى دخولهما في علاقة تكامل، أو بحيث يشفّ أحدهما عن الآخر، والترجمة الحقيقيَّة ... " شفَّافة ، وهي لا تغطّي الأصل"[٢].

فبين (كمون) العرْف اللّغويّ، و(تحوّل) الإجراء التحليلي في تلقّي لغة الخطاب _الشعري تحديدًا_ تخرج اللغة من دائرة حتميَّة النقل، وينفرد النص المترجم بمساحات التأويل المستمر ضمن الممكن، والمحتمل، والوارد، فيتحوَّل إلى خطاب يستمدّ شرعيّته من أدبيَّة النص، لا علميَّته.

---

(١) البازعي، سعد، (٢٠١٢، ٢٧ سبتمبر)، سعد البازعي: الترجمة تفسير للنص.. ونقل الشعر يثير الإشكالات، (فقرة ١٠) مقال منشور على موقع الشرق/ الدمَّام متاح على الرّابط: http://www.alsharq.net.sa/2012/09/27/507143

(٢) البازعي، سعد، (٢٠١٢، ٢٢ أكتوبر)، الشعر والترجمة، (فقرة ٤)، مقال منشور على موقع: دار الفكر. متاح على الرّابط: https://darfikr.com/article

واستشهاد البازعي من مقالة لـ: "بنيامين" (نُشرت عام ١٩٢٣) مقدمة لترجمته بودلير، وذلك لأهمية طروحه في استكناه طبيعة الترجمة الأدبية.

وعليه؛ ثمّة بعدان مهمَّان في عمليَّة الترجمة الإبداعيَّة يرسمان خطّ سير الترجمة في اتّجاهين: الترجمة الأدبيّة/ والنقديَّة، أو المعنيّة بعلوم الأدب التي تسهم بشكل فاعل في إنتاج المعارف.

وينبغي الحذر من تعميمات الخلط في تحديد المصطلحات بين لغة الأدب، ولغة العلم، وبين اللغة الشعريَّة، والنثريَّة في الأدب(١).

فالعقليَّة الأدبيَّة تختلف كلّ الاختلاف عن العقليّة النقديّة، والترجمة الإبداعيّة للنصوص الأدبيَّة تنطوي على أسس غير تلك الأسس التي تندرج في إطار الترجمات النقديّة/ المعرفيّة للنصوص هكذا تتماشى حدود الترجمة الإبداعيَّة في مساريْ: (الأدب/ وعلوم الأدب) _النقد تحديدًا_ متآلفيْن متلاحميْن، ومستقلّيْن متناظريْن في آن واحد.

وفي ترجمة البازعي لقصيدة الشاعر الأمريكي والاس ستيفنز:" حول الشعر الحديث" ١٩٤٠م أظهر صعوبةً في تحليلها بلغتها الأصليَّة تتضاعف هذه الصعوبة بالترجمة لتعالقاتها الميتافيزيقيَّة، وهذا هو شأن الحداثة الشعريَّة التي يصوّرها الشّاعر عبر مجاز طويل، ومركَّب لتبتدع نصفها في غياب نموذج سابق يمكنها تكراره.

وذلك في سياق تفريق الشَّاعر:" ... بين قصيدة تقليديَّة كانت أشبه بممثّل لا يعدو أن يقرأ ما في النَّص فيردّده ... لكيّ يؤكّد الشَّاعر القطيعة بين الحداثة وما قبلها..." (٢).

---

(١) للاستزادة والتوسّع انظر: محمد عناني، الترجمة الأدبيَّة بين النظريَّة والتطبيق، القاهرة، الشركة المصريَّة العالميَّة للنشر لونجمان، ط٢، ٢٠٠٣م، ص ٤٨_ ٥٣.

(*) **والاس ستيفنز** _١٨٧٩/ ١٩٥٥– شاعر أمريكي، صوّر الإنسان مخلوقًا مخلدًا بلا أمل في حياة بعد الموت. ويرى أن الناس يواجهون دائمًا عدم مبالاة الطبيعة الواضح، مع تيقنهم بالموت، وشعورهم بالتفسخ الأخلاقي والمادي الذي يحدث حولهم. له: The Collected Poems of Wallace Stevens

(٢) البازعي، سعد، (٢٠١٥، ٢١ مارس)، الحداثة الشعريَّة كما رآها شاعر أمريكيّ، (العدد: 17071) مقال منشور على صحيفة الرّياض. متاح على الرّابط: http://www.alriyadh.com/1031920

لا شكَّ بأنَّ الشاعر أبدع الرسم بالكلمات حينما وصف الميتـــافيزيقي بمن يعزف في الظَّلام، هذه الطاقة التعبيريَّة لم تنبع من اللّغة فحسب، وإنَّما بما يختزله الشاعر من حسّ نقدي في استجماع لقطة الانقطاع بين الحداثـــة وما قبلها في المشهد السابق، وهذا ما ينطبق على الفنون الأخرى:(موسيقى، رسم، رقص، نحت) بالتأكيد هي لن تتحدَّث عن نفسها، بل الناقـــد يحكـــي عنها، وكذلك لن تتساوى أدواتهما في التعبير فلن نجده يستبدل باللغة الرّيشة، وآلة العزف، فليس مهمّة اللغة في الإبداع أن تتحدَّث عن نفسها، بل الناقـــد يكون معنيًّا برصد مدى ترابط العمل الإبداعي من تفكّكـــه ضـــمن أعمـــال مجاورة له على محور الضبط التواصليّ، وهذا ما لا تفعلـــه القصـــيدة، ولا اللوحة، ولا الموسيقى.

التصوّر السابق قد يحسم حدود الترجمة بين الأدب، وعلـــوم الأدب، ومساحة المترجم في الامتداد فعمل المترجم في الأدب إبداع آخـــر فـــوق النص تتضاعف قيمته بمقدار تمثّلات المترجِم لكوامن النص بجميع إيحاءاته الملغزة المتعلّقة بالخيال الحر دون قيود، وبهذا يدين المترجِم الأدبي لتـــاريخ التجربة الإبداعيَّة، أمَّا المترجم المعرفي/ النقدي فهو ناقـــل لتـــاريخ الفكـــر النقدي، وهو معنيّ بنقل تنظيرات نقّاد آخرين، ومـــدين لهـــم بتصـــوّراتهم النقديَّة.

وهذا سرّ إخفاق بعض المترجمين العرب في تفسير النظريَّات النقديَّة الغربيَّة على نحو دقيق كما هي في بلد المنشأ، إنَّ انكفاءهم على الخطـــاب النقديّ في جلّ تحولاته لم ينضج بعد ليتحوَّل لديهم إلى أسلوبيَّة المقارنة في الخطاب عدا استثناءات قليلة، في الوقت الذي أبدعوا فيه بترجمة الأدب.

المحور الثاني: دور سعد البازعي التنمويّ بالكشف عن ثغرات الخطاب الاستعماري ضمن التوجّهات النقديَّة لأفكار الحداثة

أبدى البازعي في أحد حواراته توجّسًا إزاء قصور الجهود العربيَّة لحركات الترجمة ضمن العمل المؤسساتي/ الرسمي الموجّه لحركة الثقافة، وانحصارها في الترجمات الأكاديميّة المتخصصّة التي لا يعوَّل على إنتاجها في تطوّر المشهد الثقافي، والفكري للشعوب(١).

فاطّلاع البازعي على الثقافة الغربيَّة من كثب مكَّنه من استكشاف العديد من التمظهرات الأيديولوجيَّة المتغلغلة في الأنساق الاجتماعيَّة الحديثة، في شكل ليبراليَّة جديدة للفرد والمجتمع تسعى العديد من الخطابات إلى إخفائها عبر التوظيف الأيقوني للّغة . وبصيغ غير لافتة على الأغلب إلى وجود تمركز أيديولوجيّ ما دالّ على التنحية والامتياز لصالح الفكر الاستعماري.

لذا؛ فالعديد من الترجمات برزت أهميّتها من قدرتها على الكشْف عن خطابات الهيمنة الرأسماليَّة المشروطة بالتوجّهات الأيديولوجيَّة _ المضمر الأيديولوجي_ أكثر من كونها ترجمات عبر ثقافيَّة، والقاعدة الأساس في إنتاج الدلالة وتتحكَّم في صيرورة المجتمع ومنتجاته الثقافيَّة.

يقول ادوارد سعيد:" ... من دون مفهوم الخطاب لا يستطيع المرء أن يفهم الحقل المنظّم تنظيمًا هائلا الذي استطاعت أوروبا بواسطته أن تدير _

(١) الإمارات. (٢٠١٩، ٢٢ يناير). أبو ظبي تترجم [ملف فيديو]. تمّ الاسترجاع من الرّابط : https://www.youtube.com/playlist?list=PLMIMmrPa3wynew6JRdoDsRsfBt-_2HZh_
وهي محطة ثقافية تعرّف الجمهور بأهم إصدارات مبادرة: " كلمة"، وهو مشروع إماراتي وعربي يدعم الترجمة، ويهدف إلى إعادة إحياء حركة الترجمة، فاز المشروع بجائزة خادم الحرميْن الشريفيْن عبدالله بن عبد العزيز العالميَّة للترجمة عام٢٠١١م في الدورة الخامسة، وتتضمَّن المحطَّة سلسلة طويلة من لقاءات سعد البازعي الذي يعدّ من طاقم العمل الرئيسي للبرنامج.

بل وتنتج _ الشرق سياسيًّا، واجتماعيًّا، وعسكريًّا، وأيديولوجيًّا، وعلميًّا، وخياليًّا، أثناء فترة ما بعد التنوير"(١).

لذلك؛ ثمّة فرق بين الاشتغال (الجمالي) على شعريَّة النص الذي تتحكَّم فيه عناصر الخطاب الأدبي، وذلك (النقدي / المعرفي) الذي تحكمه عناصر أخرى _ أيديولوجيَّة_ بالإضافة إلى اللغة، وبالتالي فإنَّ التحليل النقدي للخطاب لا بدَّ وأن يشتمل على المراوحة بين المتغيّريْن السابقيْن.

فالنقد محور كلّ الدّراسات الثقافيَّة الدَّائرة حول الإبداع، هذا ما يعزِّز وجود فروقات الترجمة بين الأدب، وعلوم الأدب، رغم اشتراك كليْهما في مزيَّة الإضافة غير أنَّ ترجمة الأدب تتطلَّب قدْرًا من الحميميَّة في معايشة النص، ومن داخل النص.

إنَّ الترجمة الجيّدة هي التي ينقل فيها المترجم بصورة تامَّة مميّزات العمل الأصليّ:" تجعل قارئ الترجمة يفهمها بوضوح، ويحسّ بها بقوَّة تمامًا كما يفهمها ويحسّ بها أهل لغة المادَّة المترجَمة في صورتها الأصليَّة"(٢).

أظن هذا ما دفع البازعي إلى التصريح بأنَّ الترجمة:" ضربٌ من التأليف"(٣) وليس مجرّد نقل.

في حين لا تقتصر ترجمة النصوص (النقديَّة/ المعرفيّة) في تعالقاتها الثقافيَّة على نسبيَّة الاحتمال للبدائل اللغويّة، ولا تكتفي بها؛ لأنَّ المترجم لا يعوّل فيها على ملكة اللغات فحسب، وإنما على مرجعيّات ثقافيَّة خارج اللغة من البدّ له الإحاطة بأبعادها.

---

(١) ميجان الرويلي؛ وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبيّ، المغرب، الدار البيضاء، ط٤، ٢٠٠٥م، ص ١٥٦_ ١٥٧.

(٢) بيتر نيومارك، اتّجاهات في الترجمة: جوانب من نظريَّة الترجمة، ترجمة: اسماعيل صيني، الرياض، دار المريخ للنشر، ١٩٨٦م، ص ٥١.

(٣) البازعي، سعد، (٢٠١٩، ٣ سبتمبر)، سعد البازعي: الترجمة ضرب من التأليف، (الفقرة ١) مقال منشور على اندبندنت العربيَّة. متاح على الرّابط: https://www.independentarabia.com/node/53241/

لذا؛ لا تترك العمليَّات النقديّة أو المتّصلة بعلوم الأدب على سجيّتها لخيال المترجم كما هو الحال في الأدب، فالنظريَّات الشعريَّة "... تتداخل فيها العناصر الإبستمولوجيَّة، والتحليليَّة، والأخلاقيَّة، وذلك على نحوٍ تضامنيّ تبرز من خلاله الخصائص الجوهريَّة لهذا النّشاط الكوني باعتباره نسقًا تواصليًّا، وممارسة عبر نصيَّة"(١).

وبرغم المدِّ والجزر من توجّهات النقّاد في الحداثة، وما بعدها بين تقويضٍ لمركزيَّة الغرب بكافّة أشكالها، وبين ترسيخٍ لها_ تلك التي شفَّت عنها الدراسات الاستعماريَّة_ ما يحول دون الوصول إلى ثقافة نقيَّة تخلو من آثار المستعمر، والقيم المتّصلة به، الأمر الذي يجعل إمكانيَّة التنقية تلك أمرًا مستحيلا حتّى وإن هيَّأت نظريَّات ما بعد الحداثة إلى ترميم آفاق النقد القديم في التلقّي على حساب المؤلّف، وإعلان موته.

في هذا الإطار بالتحديد هل تحمل حركات الترجمة في العالم قصديَّة موجَّهة، أو موجِّهة في سياق إثبات الذَّات لإحساسهم المتنامي في الحصول على استقلال ما في ظلّ عالمٍ مشبعٍ بتعدديَّة المركزيَّات والثقافات غير الحاجة إلى ردم الفجوة الثقافيَّة؟ وهل يعكس التسارع في حركة الترجمة في الوطن العربي إحساسًا بدونيَّةٍ ما إزاء نقطة المركز؟

أميل إلى الإجابة (بنعم) عل جميع التساؤلات السابقة حيث اعتاد الدارسون أن يقولوا: " الترجمة، بتعبير آخر، هي عملية انتقاء وملء فراغ في الثقافة المترجم إليها بأعمال أو منجزات علميَّة، أو معرفيَّة، أو إبداعيَّة في ثقافة أخرى"(٢).

---

(١) حسن بحراوي، مأوى الغريب: دراسات في شعريَّة الترجمة، القاهرة، المركز القومي للبحوث، ٢٠١٥م، ص ١٩.

(٢) سعد البازعي، (٢٠١٤، ٥ يوليو)، سطوة الترجمة: النموذج الصيني (١)، (فقرة ١)، العدد: ١٦٨١٢ مقال منشور على موقع صحيفة الرياض، متاح على الرّابط:
http://www.alriyadh.com/949985

ففي الفترة من (١٩٨٤ إلى_١٩٩٠) بلغت نسبة المترجمات إلى الإنجليزيَّة ٣,٥% في حين تدنَّت هذه النسبة لدى الإيطاليين إلى ٢,٥%، أمَّا مدّ الترجمة نتيجة الشعور بالهامشيَّة فهو في ارتفاع متنامٍ لدى دول العالم الثَّالث(١).

وقد دفع شعور البعض بهامشيَّة الثقافة العربيَّة إلى الحكم بأن السبب في فوز الروائيَّة العمانيَّة جوخة الحارثي كأوَّل شخصيَّة عربيَّة بجائزة انترناشيونال مان بوكر البريطانيَّة عن روايتها:" سيّدات القمر" هو الترجمة الإنكليزية –وليست الرواية– التي اشتغلت عليها أستاذة الأدب العربي في جامعة أكسفورد الكاتبة الأميركية مارلين بوث، وهي التي دفعت بالرواية للاستحقاق والفوز.

فالترجمة الإنجليزيَّة للرواية أدَّت بها بشكل أو بآخر للعالميَّة، والانتشار، رغم استحقاقها من التميّز تفرّدٌ واحد بين متعدّد ضعيف ونحن العرب إن نتحدث عن الإنسان يكون حديثنا وسط نسق من الضعف، والغرب إن يتحدثوا عنه يكون حديثهم وسط نسق من الهيمنة وشتَّان.

وأخيرًا؛ إنَّ كل ترجمة وفقًا للخطاب الرأسمالي الحديث موجَّهًا بطريقة أو بأخرى في إطار الأيديولوجي، واستنطاق الدالّ الأيديولوجي لا اللّغوي يجعل من البنيات التفاعليَّة بين النصوص غير رسمية ولا تخضع لنسق معياري في تقييم الخطاب المترجم

(النوعي) كما ينبغي له أن يكون لا كما هو (السائد) في خطابات الهيمنة التي تنطوي على العديد من التحيّزات، ويتم فيها استعادة البنى والتصوّرات على نحو نقلي من اجترار الدلالة ضمن محيط من هيمنة

(١) ميجان الرويلي؛ وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبيّ، المغرب، الدار البيضاء، ط٤، ٢٠٠٥م، ص ١٦٥.

(*) **مارلين بوث:** كاتبة وباحثة ومترجمة أمريكية للأدب العربي، ولدت في ٢٤ فبراير ١٩٥٥. تعمل منذ ٢٠١٥ أستاذة في دراسة العالم العربي المعاصر بجامعة أوكسفورد.

الثقافيّ وليس اللّغوي دون توهّج، ويكون فيه إنتاج المعنى حتمي لا احتمالي وكأنَّها ترجمة للثقافة وليس للّغة ذاتها، ومن ضمنه الترجمات النقديَّة التي تغدو في مستوى ما نقدًا للثقافة.

وفي الوسط السّابق من هلاميّة الحِجاج لا يمكننا إلغاء مساحة المترجم التي منحته إيّاها الدراسات الثقافيَّة في ما بعد الحداثة وكفلت له شرعيّة التلقّي بالقضاء على مركزيَّة المؤلف. إلا أنها لا زالت في حدود الكلّي المهيمن.

" فالتلاعب النصّي" لا يلغي قيمة "الحقيقة" [1] المتصلة بمركزيَّة ما، مثلما أنَّ شفافية الترجمة لا تلغي سريَّة التمحور حول نظام المركز.

المحور الثالث:

مساهمات سعد البازعي في إبراز الدور الحضاري لتلاقح الثقافات وقَبول الآخر

اشتغل البازعي في العديد من كتبه على ثقافة الآخر، بدءًا بأطروحته الأساسيَّة عن الاستشراق في الآداب الأوروبيَّة فقد وجَّه اهتمامه بعد ذلك إلى الأدب الإنجليزي والأمريكي فألف في: مقاربة الآخر، ودليل الناقد الأدبي، والاختلاف الثقافي وثقافة الاختلاف.. إلخ وبتغطية مسحيَّة لكتاباته يتّضح جليًّا احترازه حدود الموضوعيَّة بحسّ المثقّف في تعزيز قيم التماثل الإيجابي.

فهو في أغلب طروحاته أشبه بمن يمشي على أطراف أصابعه كي لا يتوجَّس منه الآخرون، رغم ثقافته الموسوعيَّة التي لا تقلّ عن ثقافة طلائع المفكرين، والفلاسفة ممّن عرفوا بجرأة نقديّة واضحة، إلا أنّه يتمتَّع بأناقة فكر، ومواقف راسخة قلَّما تثير ريْبة المتحفظّين لهذا أنعته بـ: "أدوني الشرق".

(١) المرجع السابق، ص١٦٤_١٦٥.

فكثيرًا ما تحمل كتاباته، ولقاءاته تشخيصًا لحال الثقافة التي استقرَّ في وعيه أنَّها من البدّ وأن تحمل في كل عمل إبداعي جوهر البحث عن الوجود الإنساني.

ذلك الوجود الذي تسعى المركزيَّة الأوروبيَّة، والغربيَّة إجمالاً إلى انتزاعه حِيال الأقليَّات من المهاجرين واللاجئين ومن هم خارج حدود بنيتها الثقافيَّة الاجتماعيَّة، والدينيَّة الأصيلة بالإقصاء، والتهميش.

فيأتي ردّ الفعل المضاد لها لسلوكيَّاتها المعادية بالهجوم على ثقافة الآخر بما نعته البازعي بـ:" النّقد الهادم" (١).

في حين كان النقّاد العرب القدامى يطّلعون على إنجازات نقديَّة كالإغريقيَّة، فاعتنوا بكتابات أرسطو والترجمة له رغم استيفاء النظريَّة العربيَّة القديمة لتنظيراتهم، التي ربَّما كانت أكبر من حاجتهم، في قمَّة تطوّرهم النقديّ. ولكن بحلول الدولة الإسلاميَّة ضعفت الأنشطة الفكريَّة _للانشغال العقائدي_ فأصاب النقد ما أصاب مناحي الحياة الأخرى، ولم تعد المنطقة العربيَّة منطقة الحدث؛ فبرزت ظاهرة الشروحات، والمختصرات، والتَّكرار، والحشْو، واستمرَّت الأحوال إلى القرن التّاسع عشر الميلادي. وفي الطَّرف المقابل نجد أوروبا وقد خطَّت طريقها إلى النهضة بعنف في القرن الخامس عشر مع سقوط القسطنطينيَّة ١٤٥٣م.

هنا تكمن المفارقة الأيديولوجيَّة من وعي الذَّات بأهميَّة المثاقفة، والحاجة إلى سدِّ الفجوات الفارغة عبر تاريخ الفكر الإنساني وملئها، كونها لم تأتِ بميزان واحد من الانصاف في ظلِّ اعتزاز الأوروبيين بثقافتهم، إذ ثمّة عندهم قناعات راسخة بتأثير من الفكر الداروينى حول قيمة الصّراع الإنسانيّ مع شيء خارجي يقلقه، وأنَّه في ممارسته لجميع الأنشطة

(١) انظر: سعد البازعي، قلق المعرفة: إشكاليَّات فكريَّة وثقافيَّة، المغرب، الدّار البيضاء، ٢٠٠٩م، ص٣٩_٤٠.

الحضاريَّة في الفن والأدب لا يعبّر عن موهبة خالصة، وإنَّما تأتِ تجسيدًا للصّراع بين الفرد والمجتمع الذي يحول دون إشباع غرائزه.

ولا يمكن محو الأثر الداروينى في طرائق التفكير عند الأوروبيين الذي ساوى فيها بين كينونة الإنسان والأدب، فإذا كان الإنسان نفسه كينونة حيَّة متطوَّرة فإنَّ أدبه كذلك الأمر.

وهذا بخلاف الثقافة العربيَّة التي تعلي من شأن فترات ازدهار التاريخ الأدبي الأوروبيّ، ولا تسعى إلى تهميشها ربَّما ترسيخًا لأهميَّة المثاقفة، والانفتاح على الثقافات الأخرى(١).

وعليه؛ ثمَّة مركزية ما تتشعَّب في العديد من الاتّجاهات يصدح بها الفكر الغربي لا يمكن محوها" بوصف الإنسان مادّة للعلم ... ومنح نفسه بنفسه لنفسه خطاب الوجود فقط في الفسحة التي تتشكَّل من خلال استبعاده شخصيًّا"(٢).

ومن جميل ما ساقه البازعي فيما يُناهض الفكر السابق حديث عمانويل كانط عن التاريخ الكوني منظورًا إليه من زاوية:" المواطنة العالميَّة/ Cosmopolitisme"(٣) فقد وصف (كانت) الكوكب الذي نقطنه بأنَّه مدار، وأنَّنا مضطرون للعيش فيه متجاورين بتحرّكنا على سطح مداري، فلا بدَّ لنا من تقصير مسافاتنا من ناحية في الوقت الذي نمدّ فيه

---

(١) انظر: ميجان الرويلي؛ وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبيّ، المغرب، الدار البيضاء، ط٤، ٢٠٠٥م، ص ١٦٦.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٢.

(*) **إيمانويل كانط:** فيلسوف ألماني من القرن الثامن عشر(١٧٢٤- ١٨٠٤)، عاش كل حياته في مدينة كونيغسبرغ في مملكة بروسيا. كان آخر الفلاسفة المؤثرين في الثقافة الأوروبية الحديثة. وأحد أهم الفلاسفة الذين كتبوا في نظرية المعرفة الكلاسيكية.

(٣) انظر: إيمانويل كانت، فكرة عن تاريخ كوني من زاوية نظر المواطنة العالميَّة، ترجمة: محمد منادي إدريسي، الرباط_ المغرب، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، ١٧٨٤م، ص٢.

المسافات من ناحيةٍ أخرى، وإلاّ فكلّ المحاولات لزيادة المسافة ستؤول بنا نحو الهزيمة(١).

إلا أنَّ الخطاب السَّابق فيما يحويه من قيم التعايش السلمي بين البشر قُرئ بوصفه طرفة من طرائف التَّاريخ، أو نزوة أنتجتها لحظة غير مألوفة في ظلّ العقل السلطوي الأوروبي.

وفي نهاية الأمر لم يأتِ شعور الأوروبيين بالتفوّق من فراغ لطالما كان لهم ريادة التأليف والتحقيق، فأخذ عنهم العرب طرائق النقد الأدبي، وتناولوا المطبوعات النثريَّة والشعريَّة في ضوء مقاييس النقد الأوروبي.

وقد أشار البازعي إلى أنَّ بداية الترجمات المقارنة كانت من فرنسا، فهم المؤسسون لها في أوروبا ولا يخفون تشدّدهم في اشتراط أن تكون المقارنة بين الأعمال الأدبية بالاعتماد على الترجمة؛ بل من لغاتها الأصيلة، في حين وسَّعت المدرسة الأمريكيَّة المجال، ورفضت هذا التشدّد(٢).

وهم في تفوّقهم واشتراطاتهم النقديَّة التي يرونها ملزمة _ وهي غير ذلك_ لا يمكن تجاهل حقيقة ما تمثّله أوروبا من قوَّة تدفع بالثَّقافات نحو المزيد من الرقيّ، وهذا هو الواقع فعلا.

في إطار ربط فعل الترجمة بالهيمنة أو السطوة يقول البازعي:" لولا مثل ذلك الرَّبط الخارج عن المألوف ما دهشت"(٣)، ويسوق البازعي مثالاً على ذلك تصميم ترجمة العنوان لكتاب:" الترجمة والقوَّة" بحيث تظهر كلمة:

(١) زيغمونت باومان؛ الأخلاق في عصر الحداثة السائلة، ترجمة: سعد البازعي؛ وبثينة الإبراهيم، أبو ظبي، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة_ مشروع:" كلمة"، ٢٠١٦م، ص ٢٩٣_٢٩٤.

(٢) الرياض. (٢١٩، ٨ مايو)، الترجمة المقارِنة: مدخل إلى النص، الرياض قدمها أ.د. سعد البازعي الإمارات. [ملف فيديو]. تمَّ الاسترجاع من الرَّابط:
https://peopleai.com/media/youtube/videos/1e8sgvyh0vgkn

(٣) سعد البازعي، هموم العقل: مسائل_ حوارات_ إشكاليَّات، المغرب، المركز الثقافي العربي، ٢٠١٦م، ص ١٨٥.

"TRANSLATION" بالحروف الكبيرة، وتحتها كلمة: "and power" بالأحرف الصغيرة كما لو كانت قوَّة خفيَّة متوارية تتسلل من الأسفل(١).

وهناك رأي يجمع عليه الكتَّاب وهو بأنَّ الترجمة فعل سياسي وأيديولوجي بقدْر ما هو ثقافي فكري إبداعي لذا؛ يدعو البازعي ألا ننظر إليه على أنَّه:" فعل قبيح يهدف إلى الإساءة. هو كذلك أحيانًا وربَّما غالبًا لكنَّه ... ممارسة طبيعيَّة وقد تكون اضطراريَّة"(٢).

ويعزّز المفارقات السَّابقة الوظيفة الأساسيَّة للنقد التي تتمثَّل في كون النَّاقد، والمترجم المبرمِجان المغربلان للموروث الثقافي النقديّ، هذه البرمجة تدلّنا في أبسط تقدير على فعل التنحية، إذ ثمَّة أكداس هائلة من الأفكار النقديَّة التي لا تستطيع العبور وحدها عبر فاعليَّة الزَّمن دونما عقلٍ نقديّ مسؤول عن استمرار بعضها، وتنحية بعضها الآخر.

(١) المرجع السَّابق، ص ١٨٥.
(٢) المرجع السَّابق ، ص ١٨٦.

الخاتمة

_ في الترجمة طاقة تعبيريَّة خاصَّة تسعى إلى الاستكشاف فالترجمة عمل خاضع للعديد من المقارنات، تتوقّف عند ترجمة النص من لغة إلى أخرى، ولكن عند تحويل القراءة المقارنة من منظور لغوي إلى آخر نقدي فهنا تتسع الإضافة، والاختلاف باتّساع دائرة المقارنات.

_ يعدُّ البازعي النموذج الأقوى في اختزال أمثولات الترجمة، فهو هاضم للدراسات الثقافيَّة، والفكريَّة، وملمٌّ بتاريخ الأدب الأوروبي والإنجليزيّ الذي يقع على تخوم علوم اللغة، والفلسفات، والتاريخ، وعلم النفس، والاجتماع، والسياسة، والفن بشتَّى ضروبه، التي لابدَّ لها أن تتحقَّق في كل من يتصدَّى للترجمة لملاحقة جسور الثقافة من الانقطاع في موازاة الإلمام بنظريَّات الأدب ما أمكن.

_ اضطلّع البازعي بمهمّة المؤرّخ الأدبي/ والنقدي في التأريخ للعديد من النظريَّات الأدبيَّة، والمناهج الفكريَّة، وبمهمَّة نقد الترجمات بالتحليل، والقياس، والمقارنة، والترجيح في العديد من آرائه، ونقوده، ففي دليل الناقد الأدبي نجده يمارس عمليّات من الحفر المعرفي؛ الكتاب الذي يُظهر فيه نبوغاً في استيعاب العديد من النظريَّات المعرفيَّة، والأدبيَّة في سياق العلاقة مع الآخر، وقضايا الاختلاف.

_ في الأخلاق في عصر الحداثة السائلة اضطلَّع البازعي بمهمَّة واعية في الكشف عن فكر الهيمنة الذي يتوارى خلفه الغرب عصر الاستهلاك الحداثي فنجده الناقد والمترجم والأديب والمفكّر والفيلسوف الموسوعيّ جملةً واحدة بحدود مائيَّة تفصل لتبني وتتراخى لتشتدّ وتتراجع لتمتد وتتكامل فيها الرؤية بعدسة المترجم الإبداعيَّ.

_ تظلّ الترجمة في أقصى حدودها الإبداعيَّة محملَّة بقصديَّة ما، وحصيلة التقاء العديد من البنى الفكريَّة المركَّبة في الخطاب بدءًا من عمليَّات الفرز، والانتقاء، والتحليل؛ فمنتجة المادَّة المترجمة تثقل، وتتهاوى، تطول وتقصر بمقدار ما يعتمل في فكر المترجم من إبداع وبما اكتسبه من ثقافات تحت وطأة هيمنةٍ ما. وقدرته على تحقيق قدرٍ من التوازن بينهما.

قائمة المراجع

الكتب والمقالات:

١. إيمانويل كانت، فكرة عن تاريخ كوني من زاوية نظر المواطنة العالميَّة، ترجمة: محمد منادي إدريسي، الرباط_ المغرب، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، ١٧٨٤م.

٢. بيتر نيومارك، اتّجاهات في الترجمة: جوانب من نظريَّة الترجمة، ترجمة: اسماعيل صيني، الرياض، دار المريخ للنشر، ١٩٨٦م.

٣. حسن بحراوي، مأوى الغريب: دراسات في شعريَّة الترجمة، القاهرة، المركز القومي للبحوث، ٢٠١٥م.

٤. زيغمونت باومان؛ الأخلاق في عصر الحداثة السائلة، ترجمة: سعد البازعي؛ وبثينة الإبراهيم، أبوظبي، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة_ مشروع:" كلمة"، ٢٠١٦م.

٥. سعد البازعي، قلق المعرفة: إشكاليَّات فكريَّة وثقافيَّة، المغرب، الدّار البيضاء، ٢٠٠٩م.

٦. سعد البازعي، هموم العقل: مسائل_ حوارات_ إشكاليَّات، المغرب، المركز الثقافي العربي، ٢٠١٦م.

٧. محمد عناني، الترجمة الأدبيَّة بين النظريَّة والتطبيق، القاهرة، الشركة المصريَّة العالميَّة للنشر لونجمان، ط٢، ٢٠٠٣م.

٨. ميجان الرويلي؛ وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبيّ، المغرب، الدار البيضاء، ط٤، ٢٠٠٥م.

المقالات الإلكترونيَّة، والفيديوهات:

١. بقنه، شريف.(٢٠١٨). من ندوة: "تجارب في الترجمة"، تمَّ الاسترجاع من: http://www.drbugnah.net/2019/06/translation.html

٢. البازعي، سعد. (٢٠١٢، ٢٧ سبتمبر)، سعد البازعي: الترجمة تفسير للنص.. ونقل الشعر يثير الإشكالات، (فقرة ١٠) مقال منشور على موقع الشرق/ الدمَّام متاح على الرّابط: http://www.alsharq.net.sa/2012/09/27/507143

٣. البازعي، سعد. (٢٠١٢، ٢٢ أكتوبر)، الشعر والترجمة، (فقرة ٤)، مقال منشور على موقع: دار الفكر،. متاح على الرّابط: https://darfikr.com/article

٤. البازعي، سعد. (٢٠١٤، ٥ يوليو)، سطوة الترجمة: النموذج الصيني (١)، (فقرة ١)، العدد: ١٦٨١٢ مقال منشور على موقع صحيفة الرياض، متاح على الرّابط: http://www.alriyadh.com/949985

٥. البازعي، سعد. (٢٠١٥، ٢١ مارس)، الحداثة الشعريَّة كما رآها شاعر أمريكيّ، (العدد: 17071) مقال منشور على صحيفة الرّياض. متاح على الرّابط: http://www.alriyadh.com/1031920

٦. البازعي، سعد. الإمارات. (٢٠١٩، ٢٢ يناير). أبو ظبي تترجم [ملف فيديو]. تمَّ الاسترجاع من الرَّابط : https://www.youtube.com/playlist?list=PLMIMmrPa3wynew6JRdoDsRsfBt-_2HZh_

٧. البازعي، سعد. الرياض. (٢٠١٩، ٨ مايو)، الترجمة المقارِنة: مدخل إلى النص. [ملف فيديو]. تمَّ الاسترجاع من الرَّابط: https://peopleai.com/media/youtube/videos/1e8sgvyh0vgkn

٨. البازعي، سعد. (٢٠١٩، ٣ سبتمبر)، سعد البازعي: الترجمة ضرب من التأليف، (الفقرة ١) مقال منشور على اندبندنت العربيَّة. متاح على الرّابط: https://www.independentarabia.com/node/53241/